استيعاب مدلول الرمز في الميثولوجيا الإغريقية ... سيزيف وبروميثوس الخ ... ليصعد القارىء الى منزلة الشاعر لا أن ينزل الشاعر الى مكانة القارىء خشية مرض الضحالة والاسفاف .

وإذا جاز هذا التعميم في مجتمعات أخرى وصلت درجة من الوعي اصبحت مؤلفات جوركي ... هيجو وديستوفسكي... وشكسبير ... وسارتر ... وأغاثا كريستي جزءاً صغيراً من مكتبة الأسرة ... فاننا واهمون اذا كتبنا بنفس الأسلوب لأفراد كثيراً ما يجهلون أشهر الأدباء السودانيين ... ويعجزون عن إدراك الفرق بين القصة والمسرحية الخ ...

إن الطب النفسي قيثارة جديدة تعزف أنغاماً متجددة ... مشحونة بعناصر المأساة ! أزمة اليوم ... كآبة الغد ... الأرق ... الشعور بالخوف ... الرغبة في الانتحار ... فقدان الذاكرة والخوف من مرض الأعصاب ... تراجيديا محبوسة في صدر الطبيب النفساني تملأ رئتيه وتشغل قلبه وتمزق وجدانه... وبذلك يتحقق له إمكانية نقل الحياة الى الناس في أصدق

صورها ... وأدق ملامحها ... في الداخل،والصور تتداعى في مخيلته بشكل عفوي يصبح في النهاية لوحة ... كقوس قزح تنضح بالألوان ... ألوان التعاسة التي ذاق طعمها بكل الانفعال التلقائي والانسجام الحقيقي فيصبح للظاهرة مدلول نفسي اكبر من التفاصيل الجزئية فالكل ليس مجموع الأجزاء في نظر الطبيب النفساني،هذه مصيدة الشاعر الذي لم يجد نفسه بعد ... فيلجأ الى اصطياد الغريب والغامض فينفذ الى قلب القارىء من جهة العين العمياء والجانب المشلول بفعل تركيبة العقار السحري الذي يحدثه مزج الرموز في العمل الشعري،ان على الطبيب النفسي الذي يكتب الشعر أن يبتر القلق والتوتر الذي هو سبب نكسة الفرد وتحوله الى العزلة ومرض الأعصاب ... ويزيد من مرارة هذه النكسة انغماس الفرد في كافة ملذاته الحسية ... المخدرات ... الملاهي الشذوذ ... الجنسي ... الـــخ ... والطبيب النفساني عليه عبء النفاذ إلى أوهام النـــاس أولاً ... ثم عملية تبديدهـــا ثانياً بالإدراك المتكامـل لنوعيتها وظروفها وملابساتها .

إن عليه خلق يوتوبيا جديدة أو مدينة فاضلة في عقل كل فرد ... وحس كل – جماعة ... لا مدينة خرافية في أنقاض وهم عالق كخيط العنكبوت في جدران المعابد القديمة التي شوهت وجه الحياة وجمدت حركتها أن يفلت من قبضة الكتاب إلى رحابة الممارسة للعلاج ... بالكلمة بالإيحاء ... بالاسترخاء ... بالموسيقى ... بالشعر .

الشعر

انني اكتب الشعر لكي اضع بصماتي على لوحة فنية ... تظل عالقة على جدار العالم ... الذي صعد الى أعلى قمم المتعة ثم انحدر الى اسفل بؤرة الضياع، انا اجاهد لكي تظل لوحتي مسمرة في مكانها ... سامقة تستمد بقاءها من التصاقها بقلب الجماهير المتعطشة الى المعرفة ... لا تلهث وراء السراب بل أنزل بها اليها ... اذا شاءت ... طرحة بيضاء في نهار شمس استوائية حرقت القامات الابنوسية التي كثيراً ما وجدت مشقة في التعبير عن حاجتها في القول والفعل، والشاعر المتسامي بالرمز ... المتعالي بالسفسطة ... المنكفىء على الميثولوجيا الاغريقية في أسطورة سيزيف ... بروميثوس الخ. يزيد شعورها بالضياع والعقد النفسية فكأنه يغني للصم ... فيحدث الانشطار فليس كل مجنون محبوساً خلف جدران المستشفيات العقلية وليس كل اللصوص داخل أسوار السجون، ان الذين بالداخل هم الرمز لكثرة بالخارج حيث – ينتحر المئات لفرط ما امتلأ القلب بالأوجاع والأسى ويتضاعف عدد المرضى بعقولهم بصورة تفوق

(٢)

عدد المرضى بكافة الأمراض الأخرى – وهذه أكبر آفات العصر الحديث .

الشعر قلق مسجون ... والشعر اسمى مراحل التعبير عن القلق الفردي والضياع الجماعي ... ولا يأتي الاحساس بالأول ولا الوعي بالثاني الا بمعايشة مشاكل الناس في قلقهم المتستر . والسأم المتجدد كل يوم ... والجيل الذي نعيش فيه يعيش قلق وجود لا يحس ولا يشعر به الا من عاصر نوعية الناس ولمس بأصابعه العشرة موضع الألم في أجسادهم المنهوكة في رحلة الحياة.

ان الشعر يجب أن يكون شعراً في المكان الأول ... قبل أن يكون فلسفة تخضع للرفض والقبول وإلا كان بطاقة دعوة لمناظرة فجة او لحظة استماع لقطعة موسيقية فاترة ... قبل البحث عن أي مضمون يجب أن يكون الشعر شعراً ... ثم تأتي مرحلة التشريح للمضمون ... ووضوح الرؤيا ... وشفافية التعبير ... وعقلانية الرمز ... وسلامة اللغة ... الخ ...

الشعر قد يكون محاولة شكلية بلا قيمة اخلاقية تخضع لايدلوجية معينة وقد يكون مغامرة رمزية تحتاج الى كشف

الرموز وتفقد حساسية – الالتصاق بقلب القارىء ... وقد تكون فكرة عقلانية لأنها تعالج قضايا فكرية معقدة ... فلا تعني بالإيقاع ... والنغم والصور الشعرية ... ولكنه ينبغي أن يكون شعراً في كل حالاته .

والشعر تعبير عن الباطن ... والخاص في نفسية الشاعر ومحاولة اكتشاف خصوصية الذات يبعد عن الشكل الخارجي المضيء الى دهاليز الداخل المعتم الذي يتجاوز السطح والقشور فيعطي هزة – نفسية عابرة تزول وتترك فراغاً شعورياً ممضاً وعلى الشاعر أن يختار بين السقوط في عمق الرمز والعزلة او الطفو على سطح البساط والتجرد وكل شعر مهما غاص في الداخل أو طفح في الخارج له دلالة نفسية ... اختيار الموضوع ، طريقة التعبير ... أدوات البناء كلها تفرضها الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر. الغموض قد يعبر عن موقف رفض او حالة عجز ... والوضوح قد يكون صرخة استغاثة في أذن صماء أو حالة كآبة طارئة لا تحتمل الكتمان والا فاضت في نمط سلوكي مدمر . وعصبي .

ولادة القصيدة قد تكون نهاية الألم ... وقد تكون بداية

المخاض وعلى القارىء ان يعطي التجربة العمق الجديد الذي تحرك بين ضلوعه عندما طالع النص وطابق الرؤية بالانفعال .

إن الرمز في الشعر أصبح احـــد امراض الفكر المعاصر مقصود لذاته ومطلوب بمواصفاته ... مأخوذ من بطون الكتب بدقة ... ومرصود من قلب المعاجم بحصافة – صنعه قد لا تتوفر إلا لقلة ابتدعت هذا النمط في الشعر ...

ولذلك تخرج القصيدة تحمل تجربة ذاتية للشاعر ... تحمل بصماته وتوقيعه على ذيل الصفحة ولا أكثر من ذلك بعيدة عـن متناول القارىء الذي طوى الصحيفة ونسي محتواها .

لقد اجتاحت الشعر موجة من الغموض ... الغموض من أجل الغموض . حتى أصاب اليأس قلوب القراء رغم محاولاتهم الجادة للبحث والاستقراء ... أصبحت القصيدة تطرح للقارىء ألف مغزى ... في كل شطرة هـزة نفسية تستمر ثواني هي الوقت الذي يتابع بعيونه سطور القصيدة فيموت فيه الطموح لمحاولة ما هو أصعب ويتساءل متى افهم ؟ متى افهم ؟ ويبرر الشعراء ان هذه ممارسة مرحلية ضرورية فرضتها ظروف التعقيد

التي طرأت على الحياة وعلى نفسية الشاعر وأدوات التعبير ... أليس مهمة الشاعر استيعاب ثم تذليل هـــذه الصعاب أم انه افتقار للوعي بنفسية المجتمع في الأساس ؟

لقد اتخذ الشعر في الآونة الأخيرة شكلاً صور الواقع بلون ضبابي قاتم وان كان الواقع كذلك ... فليس ذلك نتيجة وعي لممارسة ذلك الواقع وإنما محاولة استيراد مواد خام نصنع منها مادة الشعر حتى أصبح لنا رصيد هائل من هذه القوالب الجاهزة يمكن أن تسمى بتيار الشعر الغامض أو الغموض الشعري .

لم يكن هذا إلا مظهراً خارجياً لسطحية فهمنا للحضارة الأوروبية التي أعطتنا القشور بكل مباهجها ولم تعطنا الفرصة لمعايشة التجربة ومعاناة الممارسة فوصلتنا عبر كل المحيطات شتى ألوان المخطوطات في شتى مجالات الحياة ... الشعر ... الغناء ... الملابس ... المأكولات ... تصفيف الشعر ... وفوجئنا بأخلاق جديدة اكتسبت أوربا منهـا اختبار التجربة بصدق المعايشة ولذة التوتر وقدرة الاختبار ووصلتنا نحن النتائج ... ولم نعش تجربة التحول ... فبدأنا من حيث انتهت أوربا والآن نواجه

أزمة ... بكل الصدق والأصالة التي تفرضها أمانة البحث في جذور الأزمة فعلينا أن نختار ... بين الانسياق الجبري وراء التيار أو العزلة المدركة لخطورة التيار ولكن لا خيار لمن لا يختار ... فقد اختار جيلنا الانسياق الجبري وراء التيار وكثر عـــدد الضحايا وليس في وسع مجتمعنا المتخلف النامي تقديم تضحيات أخرى فالأفضل أن نختار العزلة الواعية ... لا خوفاً من الجديد ولا محاربة للتطور فالتطور كالظل لا تشعر بـــه إلا وأنت تقف عليه فلا يمكن أن تحاربه وأنت واقف في مكانك ولا يمكن أن ترجع الى الخلف فيطوقك ولا يمكن أن تجري إلى الأمام فسيلاحقك ولكن يمكن من موقفك أن تفتح فقط الكوى المضيئة التي تحمل الشموس المشرقة من حضارات أوربا وتقفل الأبواب المتآكلة التي تدخل منها رياح التغيير المدمر ... علينا أن ندرك ان مجتمعنا المتخلف ... الغافل في جهله ... اللاهث خلف سراب الدجل والخرافة يجب أن يتخطى مراحل التطور خطوة أثر خطوة فالقفزة مخاطرة لا يحتملها مجتمع يعيش بعض أبنائه في أرقى بـــلاد أوربا ويعيش آباؤهم في أقصى مجاهل افريقيا ... لنقرب الشقة في داخل المجتمع بين الفتاة العاملة في

المدينة التي ترتدي الشارلستون وأمها الجاهلة في القرية التي تخاف من جهاز التلفزيون وتستعيذ بالله من الاشباح التي تتحرك بداخله .

أخيراً ... أليس الشعر تعبيراً عن كل هذه التناقضات ؟

وفي النهاية أود ان أتجاسر من هذا المنبر دفاعاً عن قضية الشعر فأقول ان ركود الحركة الأدبية وموات النهضة الشعرية الرائعة التي شهدها النصف الأول من القرن العشرين في بلادنا يرجع الى الشطط والمغالاة في نقل كل ما هو مستورد شكلاً ومضموناً في قضية الشعر الحديث .

إنني اكره أن أرى اليوم الذي تعود فيه عقارب الساعة للوراء ... ولكنني أرى بوادر التوقف عن السير في هذا الاتجاه ... فلتكن وقفة تأمل ... ولحظة مراجعة ... وإذا أريد للشعر أن يؤدي رسالته ويلتصق بوجدان الذين نكتب لهم فمزيداً من الوضوح دون الاسفاف وقليلاً من الرموز الى حد الاجحاف ولنشجب الغموض في الشعر ...

المؤلف